وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا كطلع
من جانب المشرق واشرقت الشمس اي اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا اي حين وقت
طلوع الصبح وكان المتوسم المتفكر المتفرس بالنظر في السمة الدالة على الشيء تمامه حين اشرقوا فلذلك
قال اولا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين وروي انه عليه السلام اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال الزجاج حقيقة المتوسمين
في اللغة المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وعلامته قوله لبسبيل مقيم
والمعنى ان مدينة لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى سلكه من سافر من الحجاز الى الشام والمقصود
ان الاعتبار بها ممكن قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله فان كل من آمن بالله
ورسله عرف ان ما ذكر انما كان بالله لعا انتقم لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون
بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقايعه وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات
الفلكية وذكر الله تعالى اولا ان فيما ذكر من القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اي جهة يكون
فيه آيات لهم وذكر يحتمل وجوها الاول ان في ذلك آية تدل على رسالة محمد صلعم لانه ذكر قصة
ابرهيم ولوط على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذكر ذلك
آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من هلك منهم ونجاة من نجى منهم آية للمتوسمين
ان من هلك هلك بالتكذيب ونجا من نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم
الحكيم وعلى صحة امر البعثة والنبوة وحقية ما جاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام
وهذا اشارة الى ان ما تقدم من قصة ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب
المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب عنها من قوم لوط كلها آيات للمعتبرين ووحد الآية للمؤمنين
بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع الفريق انها لبسبيل مقيم والله اعلم قوله فاهلكوا بالظلة وروي
انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله لهم سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منه الروح فبعث — الروح
الله عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة قوله ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع جواب عن ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين
ولهذا الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعا سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كانهم قد كذبوا
الرسل جميعا ولان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الرسل
كلهم وقيل ارسل الى الحجاب بعد اظهار المعجزة وكل من لم يصدق هذا المعنى ورده فقد عم التكذيب
والرد قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه تغليبا صالح على اتباعه المؤمنين
الذي يكون مع الناقة من هو بالترك قوله وآتيناهم آياتنا يحتمل انه تعالى اعطاهم آيات وهي ما سوى الناقة وان

وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت
من الصخرة وتحرك الصخرة ودنت ولادتها شقها من حين خروجها والسقب الذي
الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها ترد الماء يوما وتترك يوما ومن حيث
كثرة درها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث اختصاصها بهم كلهم يحلبونها ومن حيث
عظم خلقها حتى تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذي وردت
منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التي كل واحد منها آية على حدة وان
كانت الآيات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضاف الايتاء اليهم و
ان كان الايتاء انما هو لصالح لانها آيات رسولهم قوله آمنين من العذاب فانهم كانوا آمنين
عما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا
آمنين من انهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا فارهين على ما وبلا اذين قوله الا خلقا ملتبسا بالحق اشارة الى ان قوله
بالحق صفة مصدر محذوف والا ان استثناء مفرغ من اعم عام المصدر
واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما حصوله انه تعالى لما بين اولا انه
اهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر اولا انه ما خلق عبثا مهملا من التقييد
بقيد التكليف حتى يعمل كل نفس ما تشتهيه وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم
وبين لهم دلائل الرشد والهدى وما يؤدي الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم
وحق احسانه اليهم ويشتغلوا بشكره وطاعته ويفوزوا بالجزاء الحسنى والدولة الاسنى
يوم لقائه فمن اعرض عن النظر في الدلائل البينات ودام على الاستهزاء بالحجج والآيات ورغب
في ارتكاب المعاصي والسيئات فقد استحق ان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلكهم ثم تسلى
الضلالة والجهالة اخلاء لوجه الارض عن تلك الحالة ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزاء
لينتقم فيها من الاعداء ويثاب فيها الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزاء بل هي
دار التكليف والابتلاء ولابد من يوم الدين والجزاء ليصل كل ذي حق حقه كما قال تعالى
انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح
عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اي فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا ملتبسا — الصفح
بحلم واغضاء والاغضاء ادناء الجفون والا كافيهم بما اذوك قولا وفعلا فان الساعة آتية — كونه مع
فانا كافيهم عنك ووصف الصفح بالجميل للدلالة على معنى لا تترك نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك الصفح

موعظة جامعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)